هذه الرسالة انشاءها القاضي الفاضل الى الملك الناصر لدين الله حين اخذ عسقلان من
الفرنج وذلك يوم الجمعه سابع وعشرين رجب اخر المحرم ٥٨٣ سنه وهي هذه
ادام الله ايام الديوان العزيز النبوي ولازال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن راي
كل رايد موقوف المساعي على اقتناء المحامد مستيقظ البصر والضد في حقه راقد وارد
الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعي الفضل وان كان لايلفي بشكر واحد ماضي
حكم العدل بعزم لايمضي الا بنيل عوي وريش راشد ولازالت بعوث فضله الى الاوليا انوا
الى المرابع وخيالا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمه والعنوان لكتاب وصف النعمه فانها
بحر للاقلام فيه سبح طويل ولطف يحمل الشكر فيه عب ثقيل وبشرى للخواطر في شرحها مارب
وبشري للاسرار في اظهارها مسارب ولله في اعياد شكره رضي وللنعمة الراهنه بها دوام
لايقال معه هذا مضى وقد صارت الاسلام الى احسن مصايرها وقد اثبتت عقايد اهلها
على بصايرها وتقلص ظل الكافر المبسوط وصدق الله اهل دينه فلما وقع الشرط وقع
المشروط وكان الدين غريبا فهو الان في وطنه والفوز مفروضا فقد بذلت الانفس في
ثمنه وامر امر الحق وكان مستضعفا واهل ربعه وكان قد عفى حين عفا وجاء امر الله
وانوف اهل الشرك راغمه وادلجت السيوف والاجال نايمه وصدق وعد الله في اظهار دينه
على كل دين واستضاءت له انوار اثابت ان الصباح عند ها حان الحين واسترد المسلمون
تراثا عنهم ابقا وظفروا بعطه مالم يصدقوا النعم يظفروا به طيفا على البابي طارقا
واستقرت على الاعلى اقدامهم وخفقت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخره قبلهم
وسقيت بها وان كانت صخرة كما سقي بالماء قلوبهم ولما قدم الدين عليها عرف منها سويدا قلبه
وهي كفوها الحجر الاسود بيت عصمتها من الكافر بحربه وكان الخادم لايسعي سعيه الا لهذه
العظمى ولايقاسي تلك البوسي الا رجا هذه النعمى ولايحارب من يستظلمه الا ليكون الكلمة
مجموعة فتكون كلمه الله هي العليا وليفوز بخوها بالاخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت
الالسن ربما علت عليه سلقته واتبع قلوبها بالاحسان وكانت الخواطر ربما علت عليه روالحها
فاطلقها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة مربحه خاسر ومن
سمى لان يحلي عمره عامر والان العقود تلين تحت بيوت الاعدا المعاجم فنعصها فتقعقع
في ايديها مهر القوايم فيعصها هذا الى كون العقود لايقضي به فرض الله في الجهاد ولا يرعي
به حقه ولايرى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من ايمة قضوا بالحق وبه كانوا
يعدلون وخلفا كانوا في مثل هذا اليوم يسالون لاجرم انهم اورثوا سرورهم وسريرهم
خلفهم الاظهر ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفه وطلعتهم المنيفه وعنوان صحيفة
فضلهم لاعدم سواد القلم وبياض الصحيفه فما غابوا لما حضر ولا اغضوا لما نظر بل وصلهم
بما كان به موصولا وتناظروه العمل بما كان به مقبولا وخلص اليهم الى المضاجع
صوبها والى المصابح ما علقت به جنوبها وفاز منها بذكر لايزال الليل به سميرا والنهار
به بصيرا والشرق يهتدي بانوره بل ان بدا نور من دايه هتف به الغرب بان وراه
فانه نور لايليه اغساق السدف وذكر لايوازيه اوراق الصحف وكتب الخادم هذا
وقد اظفر الله بالعدو الذي بسطه قبابه سقفا وطارت فرقه فرقا وفل سيفه

فصل

نتج

١٤٦

فصار عصى وصدحت حمايله وكان الاكبر عددا واحصا وكلت حملاته وكانت قدرا تصرف فيه
العنان وعقوبة من الله ليس لصاحب يد فيها يدان وعثرة قدمه وكا الارض حليفه وعمت
عينه وكانت عيون السيوف دونها كخيفه ونام جفن سنه وكانت يقظته بريق يطلق الكره
من الجفون وجدعت انوف رماحه وطال ما كانت شامخة بالمني اوراعفة بالمنون واصبحت
الارض المقدسة الطاهره وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيوت
الكفر معدومه وبيوت الشرك مهيومه وطوايفه المحاميه مجمعة على تسليم القلاع الحاميه لا
يرون في الحديد لهم عصوه ولا تاتي نار الانف لهم بمره قد ضربت عليهم الذله والمسكنه وبدل
الله مكان السية الحسنة ونقل بيت عباده من ايدي اصحاب المشامه الى ايدي اصحاب الميمنه
وقد كان الخادم لقيهم اللقا الاولي فامده بمد اركته وانجده بملايكته فكسرهم كسره ما بعدها جبره
وصرعهم صرعه لاينتعش بعدها بمشية الله كفر واسر منهم من اسرت به السلاسل وقتل منهم
من قتلت به المناصل واجلت المعركة عن صرعا من الخيل والسلاح والكفار وعن اصناف بخيل فانه
قتلهم بالسيف الافلاقي والرماح الاكسار فتلوا ابنا رمن السلاح ونالوه ايضا ببار قلم اهله سيوف
نعارصين العذاب بها حتى عادت كالعراجين وكم الجم قياسا دلت الطعان حتى صارت
كالمطاعين وكم فارسيه ركض عليها فارسها الشهم الى اجل فاختلسه وتقرب ملك القومس فاها
فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة وافترسه وكان اليوم مشهودا وكانت الملايكة شهودا
وكان الضلال صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا واسر الملك
وبيده اوثق وثايقه واكد وصلة الدين وعلايقه وهو صليب الصلبوت وقايد اهل الجبروت
ما دهموا قط الا وقام بين دهايمهم يبسط باعه وكان مد اليدين في هذه الدفعة وذراعه
لا جرم انهم تتهافت على ناره فراشهم ويجتمع في ظل ضلاله خشاشهم ويقاتلون تحت ذالك
الصليب اصلب قتال واصدقه ويرونه لميثاقا يثبتون عليه اشد عهدا واوثقه ويعدونه سور
يحفر حوافر الخيل صدقه في هذا اليوم اسرت سراتهم وذهبت دهاتهم ولم يفلت منهم معروف
الا القومص وكان لعنه الله مكينا يوم الظفر بالقتال ومليا يوم الخذلان بالاحتيال فنجي ولكن
كيف وطار خوفا من ان يلحقه بيسر الرمح او جناح السيف ثم اخذه الله تعالى بيده واهلكه لموعده
فكان من عدهم هذا كل وانتقل من ملك الموت الى جهنم مالك وبعد الكسره مر الخادم على البلاد فطوا ها
بما نشر عليها من الرايه العباسيه السوداء صبغا البيضاء صنعا الخافقه هي وقلوب اعداها العاليه
هي وعزايم اولياها المستضاء بانوارها اذا فتح عنها البشر واشارات باناميل العذبات الى وجه
النصر فافتتح بلد كذا وكذا وهذه امصار ومدن وقد يسمى البلاد بلادا وهي مزارع وفدن وهذه
كلها ذوات معاقل وبحار وجزاير وجوامع ومنابر وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد ان
يحوزها ويتركها وراه بعد ان ينتهزها ويحصد منها كفرا ويزرع ايمانا ويحط من جوامعها صلبا
ويرفع ويضع اذانا ويبدل المذابح منابر والكنايس مساجد ويبوئ اهل القران بعد اهل الصلبان
للقتال عن دين الله مقاعد وتقر عينه وعيون اهل الاسلام ان يعلق النصر منه ومن عسكره بجار
ومجرور وان يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زلزاله الا يوم النفخ في الصور ولما لم يبق الا القدس
وقد اجتمع اليها كل شريد وطريد واعتصم بمنعها كل قريب وبعيد وظنوا انها من الله مانعتهم
وان كنيستها الى الله شافعتهم فلما تركها الخادم راي بلد البلاد وجمعا ليوم التناد وعزايم قد تالت
وتالفت على الموت فتركت تعرضه وهان عليها مورد الموت وان تموت بغصته فزاول البلد من

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)